من بين فروع العلم فيقول : « ثم إنك لاترى علماً هو أرسخ أصلاً ، وأبسق فرعاً ، وأحلى جنى ، وأعذب ورداً ، وأكرم نتاجاً ، وأنور سراجاً من علم البيان[1] .. » ومع ذلك فهو العلم الذي أصيب بالضيم ، ومني بالحيف ، وغلط في معناه الناس . . ويبين الجرجاني وجه الغلط في فهم معنى البلاغة والفصاحة ، وأن الأمر ليس من جهة النقص في اللغة أو الصفات الصوتية للمتكلم ، وإنما هناك دقائق وأسرار لابد في معرفتها من الروية والفكر ، وبهذه الدقائق يتفاضل الكلام ، وبها يدرك إعجاز القرآن .

كما يبين الجرجاني في أوائل كتـــابه غلط الناس في فهم النحو وتصغير شأنه مع أن « الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وإن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وإنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه »[2] ويأخذ الجرجاني بأيدينا حتى يقفنا على سر الفصاحة في رأيه فإذا هو عنده « النظم » أو الأسلوب ، أو ارتباط الكلام بعضـــه ببعض ؛

---

(١) دلائل الإعجاز : ٩

(٢) دلائل الإعجاز : ٢٢